خطبة صلاة الجمعة 14/ 4/ 2023 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(في اليوم العالمي للقدس)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

يقول الله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء:1].

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ صلى الله عليه وسلم، وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى**» [البخاري ومسلم].

وعن ميمونة مولاة النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت: يَا رَسُولَ الله، أَفْتِنَا فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ؟ فَقَالَ: «**ائْتُوهُ فَصَلُّوا فِيهِ –وَكَانَتِ الْبِلَادُ إِذْ ذَاكَ حَرْبًا–، فَإِنْ لَمْ تَأْتُوهُ وَتُصَلُّوا فِيهِ فَابْعَثُوا بِزَيْتٍ يُسْرَجُ فِي قَنَادِيلِهِ**» [أبو داود].

عنوان خطبة اليوم: **في اليوم العالمي للقدس**

أيها الإخوة:

اعتُمِدَت الجمعةُ الأخيرة من رمضان من كل عام يوماً عالمياً للقدس، نذكِّر فيها العالم بأن فلسطين أرضُنا وبأن القدس قدسنا، وبأن المسجد الأقصى مسجدنا.

نقرأ في سورة الأنبياء: ﴿قُلْنَا يَانَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ (٦٩) وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ (٧٠) وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 69-71]

قال ابن عباس: الأرض المباركة أرض الشام ومنها فلسطين، وَقِيلَ: لَهَا مُبَارَكَةٌ لِكَثْرَةِ خِصْبِهَا وَثِمَارِهَا وَأَنْهَارِهَا، وَلِأَنَّهَا مَعَادِنُ الْأَنْبِيَاءِ.

وَقِيلَ: الأرض المباركة بَيْتُ الْمَقْدِسِ، لِأَنَّ مِنْهَا بَعَثَ اللَّهُ أَكْثَرَ الْأَنْبِيَاءِ، وَهِيَ أَيْضًا كَثِيرَةُ الْخِصْبِ وَالنُّمُوِّ، عَذْبَةُ الْمَاءِ.

نقرأ في سورة المائدة قول الله تعالى يصف فلسطين أرضاً مقدسة ﴿يَاقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾ [المائدة: 21].

قال الإمام الزمخشري: يعني بيت المقدس وقيل فلسطين ودمشق وبعض الأردن.

وقال الإمام القرطبي: المقدسة معناها المطهرة والمباركة والبركة التطهير من القحوط والجوع ونحوه وهي بلاد الشام، ومنها فلسطين.

فلسطين أرضنا والقدس قدسنا، فهي أرض الأنبياء ومبعثهم، فعلى أرضها عاش إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف ولوط وداود وسليمان وصالح وزكريا ويحيي وعيسى عليهم وعلى نبينا السلام وزارها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء ومنها عرج إلى السماء فكانت فلسطين بوابة الأرض إلى السماء.

فلسطين أرضنا والقدس قدسنا، فهي مدينة أبي الأنبياء الخليل، ومنزل نبي الله صالح في الرملة، ومراح سيدنا يعقوب في طولكرم، ومقام سيدنا موسى في أريحا، ومولد سيدنا المسيح في بيت لحم ومسكنه في الناصرة، ومجتمع الأنبياء في القدس ليؤمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد الأقصى.

فلسطين أرضنا والقدس قدسنا، فهي أرض تباركت بأنفاس الصحابة وأعمالهم، واستقرارهم ومرورهم فيهم عمر بن الخطاب وعمرو بن العاص وأبو عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد وعبادة بن الصامت وشرحبيل بن حسنة ومعاوية بن أبي سفيان وشداد بن أوس وأسامة بن زيد بن حارثة وواثلة بن الأسقع ودحية الكلبي وأوس بن الصامت وأبو ذر الغفاري في مئات ومئات غيرِهم.

فلسطين أرضنا والقدس قدسنا، فهي بلد رجاء بن حيوه المولود في بيسان والإمام الشافعي المولود في غزة، وهي مزار مالك بن دينار والأوزاعي وسفيان الثوري وابن شهاب الزهري وإبراهيم بن أدهم والليث بن سعد وأبو بكر الجرجاني وابن قُدامة المقدسي والإمام الغزالي وفاتح الأندلس القائد موسى بن نُصير اللخمي.

فلسطين أرضنا والقدس قدسنا، فهي أرض المسجد الأقصى والحرم الإبراهيمي ومسجد قبة الصخرة والجامع الكبير في نابلس والمسجد العمري في غزة والجامع الأبيض في الرملة، وكنيستي القيامة ومريم المجدلية في القدس وكنيسة البشارة في الناصرة.

فلسطين أرضنا والقدس قدسنا، فهي أرض معركة اليرموك وحطين وعين جالوت وأجنادين وبيسان.

فلسطين أرضنا والقدس قدسنا، ففيها قبلتنا الأولى، وحرمنا الثالث، ومسرى رسولنا صلى الله عليه وسلم ومنها عرج إلى السماء، وفيها صلى إماماً بالأنبياء.

فلسطين أرضنا والقدس قدسنا، ففي مسجدها درس القراء والحفاظ والفقهاء والمتكلمون وفي أكنافها يُرابط المجاهدون الصادقون إلى يوم القيامة؛ فعن أبي أُمَامة قال: قال رسول الله: **«لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ, لَعَدُوِّهِمْ قَاهِرِينَ, لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ إِلاَّ مَا أَصَابَهُمْ مِنْ لأْوَاءَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ»**.

قالوا: يا رسول الله، وأين هم؟ قال: **«بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَأَكْنَافِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ»**.

وفي رواية أبي يعلى: قال النبي صلى الله عليه وسلم: **«لا تَزَالُ عِصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى أَبْوَابِ دِمَشْقَ وَمَا حَوْلَهُ، وَعَلَى أَبْوَابِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَمَا حَوْلَهُ، لا يَضُرُّهُمْ خُذْلانُ مَنْ خَذَلَهُمْ، ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ»**.

فأنتم أيها المرابطون المقدسيون المنافحون عن المسجد الأقصى أشراف الأمة وأطهارها اليوم، برجالكم ونسائكم بشبابكم وأطفالكم، تعتكفون فيه وتذودون عنه وتنصرونه.

أرسل عبد الله بن المبارك –رحمه الله– العالم الورع المجاهد رسالةً إلى الفضيل بن عياض وكان عالماً داعيةً تقياً نقياً مجاوراً لبيت الله الحرام للعبادة، فلما قرأ الرسالة بكى.

تقول الرسالة:

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا	لعلمتَ أنك بالعبادة تلعب
من كان يخضب خده بدموعه	فنحورُنا بدمائنا تتخضَّب
أو كان يُتْعِب خيلَه في باطلٍ	فخيولنا يوم الصبيحة تُتعَبُ
ريح العبير لكم، ونحن عبيرنا	رهج السنابك والغبارُ الأطيب

ولقد أتانا من مقال نبينا قولٌ صحيحٌ صادق لا يكذب

لا يستوي وغبارُ خيل الله في أنف امرئٍ ودخان نارٍ تلهب

هذا كتاب الله ينطق بيننا ليس الشهيد بميتٍ، لا يكذب

فلسطين أرضنا والقدس قدسنا، فهي أرض المحشر والمنشر؛ فعن ميمونة مولاة النبي قالت: قلتُ: يا رسول الله، أَفْتِنَا في بيت المقدس، قال: «**أَرْضُ الْمَحْشَرِ وَالْمَنْشَرِ**».

فلسطين أرضنا والقدس قدسنا، فالقدس قسيمة مكة والمدينة والمسجد الأقصى صنو المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف، وتهديد الأولى تهديدٌ للثانية والثالثة، وإيذاء الأولى إيذاءٌ للثانية والثالثة.

خطب بن غوريون يوماً في الجيش اليهودي عندما دنسوا القدس المطهر فقال: لقد استولينا على القدس ونحن في طريقنا إلى يثرب.

إنْ أُصيب القدس أُصيبت المدينة، وأُصيب المسجد الحرام.

أيها الإخوة:

لا خلاف بين الفقهاء على أن تحرير البلاد المغتصبة فرض على المسلمين، ويُبْذَل في ذلك كل وسيلة شرعية ممكنة، وعلى رأس هذه الوسائل الجهاد في سبيل الله، ولا يُنْظَر في ذلك إلى فَقْدِ الأرواح والأموال؛ فإن فقد البلاد المحتلَّة تفريط في الدين، وفي سبيل حفظ الدين يُضَحَّى بكل غالٍ ونفيس.

قال العلماء: "الْجِهَادُ مَاضٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ"، وإن تركه الكلُّ أثموا، فإن غلب العدو على بلد من بلاد الإسلام، أو ناحية من نواحيها ففَرْض عَيْنٍ.

وهذا الكيان الصهيوني الغاشم ومَن ورائه لا يخرجه من أرضنا إلا القوة، كسائر الجيوش المحتلة ومعنا بشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم في صحيح مسلم قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم، يا عبد الله، هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله، إلاَّ الغرقد، فإنه من شجر اليهود**».

فلسطين أرضنا والقدس قدسنا، والذود عنها وحماية أهلها ومسجدها وزيتونها ومياهها وسمائها وأرضها واجبنا.

وإن عاث المفسدون فيها حينا فإن للباطل صولة وللحق دولة. وإن نصر الله آت.

المسجدُ الأقصى له عادة سارتْ لدى الناس مثلاً سائره

إذا صار للكفر مستوطناً أن يرسلَ اللهُ له ناصرا

اللهم طهر فلسطين من العدو الغاصب واجعل لنا في ذلك سهما، وأعنا على نصرة الحق والدين. وردنا إلى دينك وعزنا رداً جميلاً.

والحمد لله رب العالمين